

الأعمال الخشبية في العمارة التقليدية
مِنطقة المدينة المنورة

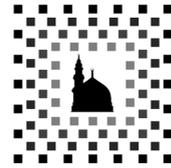
الجزء الأول

الأعمال الخشبية في العمارة التقليدية

بمنطقة الملكة المنورة

الجزء الأول

د. صالح بن محمد خطابي



مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
Al-Madinah Al-Munawwarah Research & Studies Center

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القايدي، فهد بن عبدالله

الأعمال الخشبية في العمارة التقليدية بمنطقة المدينة المنورة / صالح محمد

خطابي - المدينة المنورة، ١٤٣٦هـ

٣٣٠ ص: ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: - - - ٩٧٨-٦٠٣

-٢

-١

أ. العنوان

١٤٣٦/٨٨٣٣هـ

ديوي ٣٧٧،١

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٨٨٣٣هـ

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٠٧٢١-٠٠-٢

حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ولا يجوز طبع أي جزء من الكتاب أو نقله على أية هيئة دون موافقة كتابية من الناشر إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة مع وجوب ذكر المصدر.



تقديم

بعد حركة الفتوحات الإسلامية النشطة تداخل العرب مع ثقافات الشعوب الأخرى، وكان دين الإسلام هو المحرك لهذا الامتزاج، فلا فرق بين عربي ولا عجمي ولا بين أسود وأبيض إلا بالتقوى والأعمال الصالحة، فتلاشت الفوارق الطبقية بين عناصر المجتمع الإسلامي الواحد.

لقد تأثرت أعمال المسلمين الحرفية والفنية بالتوجيهات الدينية الواضحة في تحريم تصاوير ذات الأرواح ونحتها في أعمال الزينة والزخرفة والمنقوشات، لذا خلقت أعمال الحرفيين المسلمين من تصاوير البشر، والحيوان في جميع أعمالهم عبر مر العصور.

كما كان معنى الحجاب والستر والعفاف للمرأة المسلمة حاضراً لدى المجتمعات المسلمة، فنذت الدور ذات الفناء الداخلي لتبلي متطلبات الأسر، وخصوصية المرأة المسلمة. وامتداداً لهذا المعنى فقد نفذت رواشين النوافذ للتماشى مع هذا المفهوم في خصوصية الأسرة، بحيث تسمح هذه الأعمال الخشبية الجميلة بمرور أشعة الشمس والضوء، والهواء إلى داخل البيت دون كشف للنساء وللأسرة من مشاهدات المارة أو الجيران.

إن المجتمع المدني في العصر الحديث يمثل شعوباً وثقافات مختلفة امتزجت مع بعضها البعض، فاستخدمت في المدينة المنورة جميع الفنون الخشبية، والزخرفة المتوفرة في العالم الإسلامي، وذلك لتمازج المجتمع المدني مع بعضه البعض.

كانت الأعمال الخشبية في المدينة تنفذ من بيئة المدينة، وذلك لتوفر أشجار الأثل، والنخيل، والدوم في وديان المدينة، والعرعر في جبالها الشاهقة مثل: الفقرة، وقُدس.

كما يصل إلى المدينة المنورة خشب الساج، والأبنوس المستورد من بلاد الهند وفارس وإندونيسيا.

لقد استطاع العامل الحرفي المدني تشكيل الخشب باستخدام جميع أدوات النجارة الى أشكال هندسية رائعة، وأبدعوا في الحفر على الخشب بأنواعه: البارز، والغائر، والمائل المشطوف .

وللتغلب على مناخ المدينة الحار والجاف استخدم الحرفيون التجميع والتعشيق للتغلب على تقوس الأخشاب، وندرة وغلاء الأخشاب الثمينة المستوردة.

وامتدادا للزخرفة وفنها لدى المسلمين فقد نفذ الحرفي المدني رسم الأشجار والورود والفاكهة على بعض الأعمال الخشبية، كما جُمّلت بعض الأبواب بالعبارات الدينية من ذكر الله، والدعاء لصاحب الدار بالبركة والرزق.

إن هذا الكتاب: «الأعمال الخشبية في العمارة التقليدية بمنطقة المدينة المنورة» للأستاذ: صالح محمد خطابي يعد عملا توثيقيا للأخشاب وصناعتها في المدينة المنورة قبل زحف المدنية الحديثة، واندثار تلك المباني التي وثّق المؤلف الصناعة الخشبية فيها.

أسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فهرس الموضوعات

تمهيد	١٥
المقدمة	٢٣
موضوع البحث وأهميته	٣٠
مشكلة البحث	٣٢
أهداف البحث	٣٣
منهج البحث	٣٤
إجراءات البحث	٣٥
تساؤلات البحث	٣٦
عينة البحث	٣٧
الدراسات السابقة	٣٧
المدينة المنورة في كتابات الرحالة المسلمين	٥٠
المدينة المنورة في كتابات الرحالة الغربيين	٥٣
الهيكل والمكونات	
الباب الأول	٥٧
الإطار الجغرافي والتاريخي لمنطقة المدينة المنورة	
الفصل الأول : موقع المدينة المنورة وجغرافيتها	٥٩

الفصل الثاني : الإطار التاريخي	٦٧
الفصل الثالث : فضل المدينة المنورة وأسمائها وحرمتها	٧٥
الفصل الرابع : التركيب السكاني	٨١
الفصل الخامس : أحواش المدينة المنورة وحراراتها	٨٧
الفصل السادس : النشاط الاقتصادي لمنطقة المدينة المنورة	٩٣
الباب الثاني	
العوامل المؤثرة في الأعمال الخشبية	١٠٥
الفصل الأول : العامل البيئي	١٠٧
الفصل الثاني : العامل الاجتماعي	١١٧
الفصل الثالث : العامل الاقتصادي	١٣٩
الفصل الرابع : العامل الديني	١٤٥
الباب الثالث	
الصناعة والحرفة	١٥١
الفصل الأول : المواد الخام	١٥٣
الفصل الثاني : الأدوات اللازمة لتنفيذ الأعمال الخشبية	١٦٧
الفصل الثالث : الطرق الصناعية والأساليب الزخرفية	١٧٥
الفصل الرابع : الإضافات التكميلية الخشبية	٢٠٣
الفصل الخامس : الشكل العام للأعمال الخشبية	٢١٣

الباب الرابع	
العناصر الزخرفية التي وردت على الأعمال الخشبية الثابتة	٢٥٧
الفصل الأول : الزخارف الهندسية	٢٥٩
الفصل الثاني : الزخارف النباتية	٣٠١
الفصل الثالث : الزخارف الكتابية	٣٢٣
الفصل الرابع : الزخارف الحيوانية المحورة	٣٣١
الباب الخامس	
الدراسات الوصفية للأعمال الخشبية الخارجية	٣٣٧
الفصل الأول : الشبايك	٣٣٩
الفصل الثاني : الرواشين	٣٨٣
الفصل الثالث : المناور	٤٦١
الفصل الرابع : اللوحات التأسيسية	٤٧١
الباب السادس	
الدراسات الوصفية للأعمال الخشبية الداخلية	٤٧٧
الفصل الأول : الأبواب	٤٧٩
الفصل الثاني : الخزائن الحائطية	٥٢١
الفصل الثالث : الأسقف الخشبية	٥٤١
الفصل الرابع : الأشرطة الكتابية	٥٥٩

الباب السابع	٥٧٧
الدراسات المقارنة	
الفصل الأول: الدراسات الوصفية المقارنة للأعمال الخشبية في كل من مكة المكرمة، جدة، الطائف	٥٧٩
الفصل الثاني: الدراسات المقارنة لأهم العناصر الزخرفية الخشبية	٧٣٧
الفصل الثالث: التأثيرات الفنية الخارجية	٧٤٩
الفصل الرابع: السمات الزخرفية والفنية للأعمال الخشبية بمنطقة المدينة المنورة	٧٥٧
الخاتمة.	٧٦٣
أ - الخلاصة	٧٦٥
ب - النتائج	٧٦٧
ج - التوصيات	٧٧٠
الملاحق.	٧٧٥
أ - معجم المصطلحات الفنية والمهنية	٧٧٥
ب - معجم الألقاب والوظائف	٧٩٥
كشاف الأشكال واللوحات	٨٠٧
أ - فهرس الخرائط والأشكال والوثائق واللوحات والأعمال	٨٠٩
ب - الأشكال	٨٤٩

ج - اللوحات	١٠٠٩
المصادر والمراجع.	١١٥٣
أ- القرآن الكريم	١١٥٥
ب - الوثائق	١١٥٥
ج - المخطوطات	١١٦٥
د - المصادر المطبوعة	١١٦٥
هـ - المراجع العربية	١١٦٩
و - المراجع الأجنبية المعربة (المتجمة)	١١٨٩
ز- الرسائل العلمية	١١٩١
ح- الدوريات	١١٩٢
ط - أبحاث الندوات العلمية	١١٩٦
ي- المراجع الأجنبية	١١٩٨

تمهيد

إن صلة الباحث بالأعمال الزخرفية الخشبية تعود إلى مرحلة الدراسة الجامعية في قسم التصميم الداخلي، بكلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان بالقاهرة، حيث كانت تستهويه هذه الأعمال بصورة خاصة عن بقية الأعمال الفنية الزخرفية.

وقد نمت لديه الرغبة في الاتجاه نحو دراسة أسسها وعناصرها الصناعية والزخرفية الإسلامية من خلال المشاركات في أعمال مشاريع التصميم الداخلي المختلفة، ورسم طرق تنفيذ الأشغال الخشبية، ومن رغبة منه في تأصيل عناصر زخرفة الأعمال الخشبية الثابتة ودراسة خاماتها وطرق تصنيعها، والأدوات اللازمة لتنفيذها.

ولأهمية الموضوع وما يحمله من صور جمالية رائعة للأعمال الخشبية في مختلف العصور الإسلامية؛ واصل الباحث دراساته الإسلامية بكلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود؛ لما تمثله الدراسة من توثيق كثير من المعلومات والخصائص الفنية، ناهيك عن المعارف المتعلقة بالصُّنَاع وتوقعاتهم، خاصة إذا تم الربط بينها وبين ما كتب في التراجم، وصولاً إلى دلالات ومعلومات ذات قيمة وفائدة، خاصة وأن هذه الأعمال الخشبية لها أهمية لدى الباحث؛ لما تحمله من زخارف هندسية، ونباتية، وكتابية

من الناحيتين الفنية والتاريخية، بل ويفتح مجالاً خصباً للدراسة لا سيما أنها تخص المدينة المنورة، التي يقصدها المسلمون من قارات العالم كافة؛ لما تمثله من مكانة دينية وتاريخية، أضف إلى ذلك البعد الحضاري الذي قد يتفوق على غيرها من بلدان العالم الإسلامي بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بفضل انفتاح المجتمع المدني على تلك البلدان.

كما يود الباحث بهذا الموضوع أن يشارك بجهد متواضع في خدمة حركة إحياء آثار الفنون الإسلامية في بلادنا.

وقد استدعى الإعداد لهذا الموضوع العمل على حصر التراث المتبقي من الأعمال الخشبية الثابتة في العمارة التقليدية في مدن منطقة المدينة المنورة، والقيام بدراسات ميدانية في أحياء كل مدينة، وقد واجهت الباحث بعض الصعوبات التي منها:

١- البحث عن الأعمال الخشبية الثابتة في المباني التقليدية في مدن المنطقة؛ لتباعدها عن بعضها بعضاً، فضلاً عن تعدد المباني وتباعدها في أحياء كل مدينة.

٢- صعوبة الحصول على الوثائق، وذلك أن بعض أصحاب المباني امتنعوا عن إطلاع الباحث عليها.

٣- خطورة تصوير بعض الأعمال الخشبية المعمارية، حيث إن بعض المباني آيلة للسقوط إلى جانب تلاصقها وتجاورها، كما أن معظمها غير أهل بالسكان ومغلق، مما أدى إلى تعذر تصوير بعض الأعمال الخشبية بصورة جيدة.

٤- هدم معظم أحياء المدينة المنورة القديمة، خلال توسعة المسجد

النبوي الشريف، وتطوير المنطقة المركزية، مما استدعى الباحث أن يعتمد على صور من تاريخ المدينة المنورة.

ومع ذلك؛ فقد تيسر للباحث القيام بالدراسات الميدانية اللازمة؛ ففي المدينة المنورة قام بزيارات ميدانية متكررة لكل من حي السبخ، وباب الكومة وحي قباء القديم، وحي الكاتبية، وقام بدراسات ميدانية لأعمال الخشب، في كثير من منازل هذه الأحياء، وقام بدراسة الأعمال الخشبية من الصور التاريخية، في كل من حوش (كراباش)، وحوش المغاربة، وحوش التاجوري، وحوش أبو دراع، وحوش منصور، وحوش مناع، وشارع الساحة، والعنبرية، والسيح، والقشاشي، والطيار، وشارع باب المجيدي. واختار الباحث صور الأعمال الخشبية لبيوت (أبو عزة) بشارع باب المجيدي، وبيوت العنبرية، وبيوت الحماطة، وبيت القاضي بشارع الساحة (القرن ١٣هـ/ ١٩م)، وبيت أسعد (القرن ١٣هـ/ ١٩م)، بزقاق الطوال، وبيت عباس حماد (القرن ١٤هـ/ ٢٠م) بحوش (كراباش)، وبيت الراددي (القرن ١٤هـ/ ٢٠م) بشارع السبخ، وبيت البرزنجي (القرن ١٤هـ/ ٢٠م) بشارع السبخ، وبيت منصور عمر بحوش المغاربة (القرن ١٤هـ/ ٢٠م)، وبيت الشيخ ذياب ناصر (القرن ١٤هـ/ ٢٠م)، بالمناخة.

وفي المدينة المنورة قام الباحث بزيارة متحف كلية المعلمين، ومتحف التراث المعماري التابع للمهندس: عبدالعزيز كعكي، ومتحف القطع التراثية لصاحبه سليمان الجهيني، ومكتبة الملك عبدالعزيز، ومكتبة السيد حبيب محمود أحمد العامة، ومركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، للاطلاع على ما يتوفّر بها من وثائق ومراجع، وأيضاً مقر

المحكمة الشرعية؛ لمراجعة السجلات وصكوك المباني التقليدية، كما قام بدراسة ما في المتاحف المحلية من أعمال خشبية وأدوات النجارة القديمة وتصويرها.

وفي مدينة ينبع البحر قام الباحث بزيارات ميدانية متكررة أيضًا لكل من حي القاد، وحي الصور، وحي الخريق، وحي الصعايدة، وقام بدراسات ميدانية متكررة لأعمال الخشب المعمارية في كثير من منازل هذه الأحياء، ومنها على سبيل المثال - لا الحصر - منزل: حسن سالم بابطين (القرن ١٣هـ / ١٩م)، ومنزل محمد باجنيد (القرن ١٤هـ / ٢٠م) في حي القاد، ومنزل عبدالله عاشور (القرن ١٣هـ / ١٩م) في حي الصور، ومنزل ناجي زارع (القرن ١٣هـ / ١٩م)، ومبنى بلدية ينبع القديم (القرن ١٤هـ / ٢٠م). وفي حي الخريق منزل يوسف سبيه (القرن ١٤هـ / ٢٠م)، ومنزل سليمان شبكشي (القرن ١٣هـ / ١٩م)، وفي حي الصعايدة منزل عبدالمحسن خريشي (القرن ١٤هـ / ٢٠م)، وبحي القاد منزل جبرتي شلبي (القرن ١٣هـ / ١٤م).

ومن مدينة العلا قام الباحث بزيارات ميدانية متكررة للقريه القديمة وقام بدراسة الأعمال الخشبية الثابتة فيها، وهي غير ثرية فنيًا وزخرفيًا.

ومن باب المقارنة قام الباحث بزيارات متكررة إلى مدينة جدة لدراسة الأعمال الخشبية المعمارية الثابتة وتصويرها في كل من حارة الشام، وحارة اليمن، وحارة المظلوم، واختار منزل نور ولي (أواخر القرن ١٣هـ / ١٩م) بحارة الشام، ومنزل آل نصيف (١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م) بحارة اليمن، ومنزل محمد أحمد باعشن (النصف الثاني من القرن ١٣هـ) بحارة الشام.

وفي مدينة الطائف قام الباحث بزيارات ميدانية متكررة لكل من قصر شبرا (١٣٢٥هـ) بحي شبرا، وقصر الكاتب (١٣٥٧هـ) بحي السلامة، وقصر الكعكي (١٣٥٨هـ) بحي السلامة، وبيت الصيرفي (أوائل القرن ١٤هـ) بحي قروى، وبيت البوقري (أوائل القرن ١٤هـ) وبيت السفيناني (أوائل القرن ١٤هـ) بحارة فوق، كما قام الباحث بزيارة المتحف الوطني للقطع التقليدية، التابع لعلي الشريف، ومتحف عكاظ لصاحبه خلف الله القرشي وهي متاحف خاصة.

أما الأعمال الخشبية الثابتة في المباني التقليدية في بقية المدن فقد أصبح من المتعذر العثور عليها بسبب تجديد الأحياء القديمة، إلى جانب قلة ثرائها الفني، إلا أن الثراء الفني تركز في المدن الحجازية سابقة الذكر. أما بالنسبة لمكة المكرمة فإن الباحث قام بزيارات ميدانية متكررة لكل من دار عباس قطان (١٣٢٠هـ) بحارة الشامية، ودار سليمان مؤمنة (أواخر القرن ١٣هـ) بسوق الليل، ودار الهنا التراثي (١٣٣٢هـ) بحارة الشامية، ودار عطا إلياس (النصف الأول من القرن ١٣هـ) بحارة الشامية، ودار باناعمة (أوائل القرن ١٤هـ) بشعب علي.

وتطلبت الدراسة قيام الباحث برحلة علمية خارج المملكة إلى كل من جمهورية مصر العربية، وجمهورية تركيا، لاستكمال المادة العلمية، بالإضافة إلى إجراء الدراسات الميدانية المقارنة.

ففي مصر قام الباحث بزيارة متحف الفن الإسلامي، ومتحف الفن القبطي، ودار الكتب المصرية، ودار الوثائق القومية، وجامعة القاهرة،

إلى جانب قيامه بدراسات ميدانية لأحياء القاهرة التي تشتمل على مبانٍ أثرية إسلامية، تتجلى في أحياء القاهرة القديمة مثل بيت الكرديلية (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) بجوار جامع ابن طولون، وبيت جمال الدين الذهبي (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م) بحارة حوش قدم، المتفرعة من شارع المعز لدين الله بالغورية، وبيت السحيمي (١٠٥٨هـ/ ١٧٩٦م) بالدرب الأصفر، بناحية الجمالية، وبيت السناري (١٢٠٩هـ/ ١٧٩٤م) بالسيدة زينب.

وفي تركيا زار الباحث الأحياء القديمة بمدينة إصطنبول، ومنها حي السليمانية، وحي (اسكووار)، وزار بعض المؤسسات الأكاديمية فيها؛ منها مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (أرسىكا) بحي (يلدز)، وبه مكتبة ثرية بالمراجع والوثائق المهمة، ومتحف (طوب قابي سراي) بحي السلطان أحمد، وجامعة إصطنبول بحي بايزيد، والكتبخانة بالسليمانية، وسوق الكتب بحي بايزيد، وزار أيضاً الجوامع وبعض المعالم الأثرية الأخرى.

وفي سياق ما قام به الباحث من دراسات وزيارات ميدانية وإطلاعه على كثير من الكتب والبحوث اللازمة؛ فقد استفاد كثيراً من مجموعة الكتب التي ألفت عن المدينة المنورة والصور التاريخية التي نشرت عنها في الكتب، والتي لم تنشر ولا زالت عند أصحابها.

وقد استفاد الباحث فيما يتعلق بوصف العناصر الزخرفية ودراساتها وتحليلها مما ورد من معلومات أثرية في الكتب التي ألفها عدد من الباحثين؛ منهم: حسن الباشا، وأوقطاي أصلان آبا، وعلي الطائش، وعبدالله عطية عبدالحافظ، وناصر الحارثي، وربيع خليفة، وأحمد الزيلعي، وشادية الدسوقي عبدالعزيز.

ولا يسع الباحث إلا أن يتضرع إلى الله - جلت قدرته - أن يكتب لهذا البحث النجاح، وأن يكون إضافة جديدة للمعرفة الأثرية الإسلامية، في منطقة المدينة المنورة خاصة، وفي بلادنا الغالية عامة، وأن يكون حافزاً لأبناء هذا الوطن الحبيب، لبذل الجهد نحو تحقيق نهضة أثرية شاملة، يُنتفع بها بإذن الله، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

- ١ - موضوع البحث وأهميته.
- ٢ - مشكلة البحث.
- ٣ - أهداف البحث.
- ٤ - منهج البحث.
- ٥ - إجراءات البحث.
- ٦ - تساؤلات البحث.
- ٧ - عينة البحث.
- ٨ - الدراسات السابقة.

المدينة المنورة دار هجرة خاتم الأنبياء، وحبينا وقدوتنا: سيدنا محمد ﷺ، يقصدها المسلمون بزيارة المسجد النبوي الشريف من مشارق الأرض ومغاربها، فهي بوتقة انصهرت فيها ثقافات متعددة أنشئت مجتمعة في منطقة واحدة، فتمخضت عنها ثقافة وحضارة ذات طابع محلي فريد، تناولها الكثيرون بالبحث والدراسة من زوايا مختلفة؛ تاريخية واجتماعية، وثقافية وعمرانية ونحوها، إلا أن الدراسة الحالية تتناول بمنظور أشمل: مايمس الجوانب السابقة؛ ممثلة في الأعمال الخشبية الثابتة في العمارة التقليدية بمنطقة المدينة المنورة ذات التراث العريق والأصول القديمة.

واختيار الأعمال الخشبية الثابتة في العمارة التقليدية السكنية، بمنطقة المدينة المنورة، دون العمارة التقليدية في المدن الإسلامية الأخرى، نابع من الامتيازات الخاصة التي تحظى بها المدينة المنورة؛ لكونها مدينة إسلامية مقدسة، سكنها رسول الله ﷺ، وبنى فيها مسجده الشريف، وقامت فيها الدولة الإسلامية بجميع مقوماتها، حتى أصبحت منارة يشع منها نور الإسلام ليصل مشارق الأرض ومغاربها، وتستقطب العديد من وفود الحجيج والزوار على مدار العام تقريباً.

وكما هو معروف؛ فإن طراز العمارة التقليدية السكنية، بمنطقة المدينة المنورة، يعرف بالطراز الحجازي، وتتكون معظم المباني من ثلاثة أدوار

أو أكثر، ومن سُقْفٍ مسطحة، ويكون المدخل على شكل قوس دائري أو مسنن، والأبواب من الخشب الصلب، وفيها زخارف كثيرة منحوتة، وعادة ما تكون الحوائط الخارجية مدهونة باللون الأبيض، ولها شرفات علوية مزخرفة بكثافة، وتتميز الحوائط بوجود الشبايك الخشبية، والرواشين على فتحات النوافذ.

وتؤلف الرواشين والشبايك شبكة خشبية لتمرير النسيم المنعش والضوء الخافت والعمل على تقليل دخول أشعة الشمس الشديدة، وتلبية الحاجة إلى إضفاء الخصوصية على البيت.

كما أبدع الصنّاع المهرة والنجارون قطعاً فنية، أضافت وظيفة ثالثة للروشان تتمثل في إعطاء صبغة جمالية للبيت، وعلامة خارجية تدل على مكانة ونفوذ صاحبه.

وقد قام الباحث بشرح الطرق الفنية، لتنفيذ الأعمال الخشبية وتأصيلها، وتحدث عن الصُّنّاع في المدينة المنورة خاصة، والحجاز عامة، وتوقعاتهم والعوامل التي أسهمت في إعدادهم؛ كعامل نظام طائفة النجارين، والمراسيم المتبعة لأعضائها، ثم تطرق الباحث لملاصمهم وأجورهم وأسماء بعضهم، مع عمل ترجمة لها ما أمكن ذلك، ومعرفة الأسلوب الفني لبعضهم.

كما تطرق الباحث إلى الإطار العام للأعمال الخشبية الثابتة، وعلاقتها بالتصميم المعماري، وإلى تصميم الأبواب، وبين تأثيرها في التصميم المعماري للمباني.

ثم تحدث الباحث بعد ذلك عن الشبايك؛ وصلتها بالتصميم المعماري للمباني، وأنواع مصادرها، ثم تطرق للرواشين؛ فبدأ حديثه عنها بتعريف لها، وتأصيلها وكيفية تركيبها وأجزائها، كما أوضح الباحث أنها تتأثر كثيراً بالتصميم المعماري للمباني؛ سواء أكان ذلك في شكلها أم حجمها أم تعددها، وبخاصة في المباني التي ترجع إلى آخر القرن الرابع عشر الهجري - القرن العشرين الميلادي.

كما تعرض الباحث للسقوف وأنواعها، ومدى تأثير الخزائن الحائطية بالتصميم الداخلي للمباني، وبالتصميم المعماري.

تجدر الملاحظة: إلى أن فن العمارة التقليدية الإسلامية، بمنطقة المدينة المنورة، لا يقتصر على حاجة الساكنين من مساحات وخدمات في المسكن وحسب، بل يتعدى ذلك إلى إرضاء الذوق، وإشباع النظر؛ بما يوفره من جمال وإتقان، بتكسية المبنى من الداخل والخارج بالأعمال الخشبية الثابتة والمنقولة، كما أن الوظيفة الجمالية، في المباني التقليدية بالمدينة المنورة، لا تقل أهمية عن الوظائف الأخرى؛ من إضاءة وتهوية للفراغات الداخلية، وتوفير الخصوصية اللازمة للسكان؛ حيث كوّنت وحدة من أبرز خصائصها وصفاتها الجمالية، التي قامت عليها صناعات حرفية يدوية، أصبحت بدورها جزءاً من مكملات عمارة المباني التقليدية في المنطقة، مما جعل الأعمال الخشبية المعمارية محط أنظار الباحثين والدارسين، في هذا المجال.

وتم بحمد الله حصر نماذج الأعمال الخشبية الثابتة، التي يمكن دراستها في مرحلة أولى، وفق الأمور الآتية: الإطار العام - طرق التصنيع

- الحجم - الأسلوب الفني في الزخرفة - وصلاحيه العمل الخشبي للدراسة - والتشابه بين الأعمال ومقارنتها، وقد أوضح الباحث ذلك في الموضوع المناسب هذا من البحث.

وقد تناولت الدراسة الموضوعات الآتية:

- الباب الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي للمنطقة، ويشتمل على الموقع وجغرافيته.

- الباب الثاني: العوامل المؤثرة في الأعمال الخشبية، وقد شملت عامل البيئة الطبيعية والعامل الاقتصادي والعامل الاجتماعي والعامل الديني.

- الباب الثالث: الصناعة والحرفة، وتطرق الباحث للأخشاب المستخدمة، ومنها الأخشاب المحلية والمستوردة، وبين خصائص كل نوع، وأوضح الباحث العدد والأدوات اللازمة لتنفيذ الأعمال الخشبية، ومنها: (المناشير، والفارات، والمبارد، والأزاميل، والمثاقب، والقدوم (جمعها قدايم)، والمخرطة (جمعها مخاريط)، والبنط)، وغير ذلك ...

- الباب الرابع: العناصر الزخرفية المستخدمة في الأعمال الخشبية، حيث تطرق الباحث إلى الزخارف الهندسية من بسيطة ومركبة، وتحدث عن الزخارف النباتية، المحورة عن الطبيعة والمنقولة عنها، بشقيها المفرد والمركب، وإلى الزخرفة الكتابية ومضمونها ودورها الزخرفي، وألحق به عدة جداول، كما تحدث عن الزخرفة الحيوانية المحورة عن الطبيعة، وأماكن استخدامها في العمارة التقليدية الحجازية.

- الباب الخامس، والباب السادس: الدراسة الوصفية ويشملان وصفاً لنماذج مختارة من الأعمال الخشبية، الخارجية والداخلية الثابتة في المنطقة: على أساس الإطار العام، والحجم والأسلوب الفني الزخرفي، وأسلوب الصناعة، حيث قام الباحث بوصف كل عمل وصفاً علمياً شاملاً؛ من حيث اسم العمل، ومكانه، وتاريخه، والزخرفة الممثلة به والطرق الصناعية المنفذ بها العمل الخشبي، وعمل مقارنة بين الأعمال المتشابهة، كما عمل الباحث على التأسيس والمقارنة ببعض الأعمال، خارج الحجاز.

وقدرت الباحث نماذج الأعمال الخشبية الثابتة بهذين الفصلين، طبقاً لأنواع ووفق عصورها التاريخية؛ حيث بدأ بالشبايك، ثم الرواشين، فالأبواب والسقوف، والخزائن الحائطية، والأشرطة الكتابية، واللوحات التأسيسية فالمناور.

كما قام الباحث بعمل ترجمة لمُنشئي بعض المباني ما أمكن ذلك.

- الباب السابع: الدراسات المقارنة، حيث شمل العناصر الزخرفية، والتأثيرات الزخرفية الخارجية، والسمات العامة لزخرفة الأعمال الخشبية الثابتة بالمنطقة.

وختم الباحث الرسالة بالنتائج العلمية والتوصيات، التي توصل إليها من خلال دراسة هذا الموضوع. وأرفق الباحث بمتن الرسالة ملحقاً تضمن ثلاثة أقسام هي: الدراسات الوصفية للأعمال الخشبية المماثلة، في كل من مكة المكرمة وجدة، والطائف، ومعجم المصطلحات الفنية والمهنية، ومعجم الألقاب والوظائف، التي وردت في البحث، وقائمة

بالمصادر التي اعتمد عليها، كما تضمن الملحق أنماط الخرائط، والأشكال، والوثائق، واللوحات.

موضوع البحث وأهميته:

يتناول موضوع البحث بالدراسة والتحليل الأعمال الخشبية الثابتة في العمارة التقليدية بمنطقة المدينة المنورة، من حيث الشكل العام والزخرفي، ومن خلال دراسة الأعمال الزخرفية الخشبية المعمارية تكسو الواجهات والفتحات الخارجية والداخلية، بكثافة مزخرفة، بأشكال كثيرة محفورة أو منقوشة، أو مخرمة أو مفرغة، أو مخروطة أو حشوات مركبة بطريقة التجميع والتعشيق، أو سدائب أو شرائح مثبتة باللصق والإضافة، حيث أعطت هذه الزخرفة مسحة جمالية وروعة على الأعمال الخشبية الثابتة للمباني التقليدية بالمنطقة، وللمحافظة على هذا التراث الغني بالزخرفة الخشبية اليدوية ليقى نبعاً تُستقى منه عن الأشغال الخشبية المعمارية في الطراز الحجازي.

وسوف يركز البحث على أربعة محاور مختلفة، وهي:

١- البعد المكاني: دراسة المباني التقليدية بمنطقة المدينة المنورة وحراراتها وأحيائها وأحواشها^(١) القديمة، وما تحويه مبانيها التقليدية من الأعمال الخشبية الثابتة.

(١) انظر تعريف الحوش في الباب الأول (الحوش هو عبارة عن فراغ مفتوح تحيط به المساكن من جميع الجهات يقفل عليه الباب).

٢- البعد الزمني: أواخر القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر الهجري والمقابل للفترة التي تمتد من أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين الميلادي، إبان العصر العثماني.

٣- البعد الفني: دراسة الأعمال الخشبية الثابتة بالعمارة التقليدية بمنطقة المدينة المنورة من حيث الشكل المعماري والزخرفي، من خلال النماذج الحية الموجودة والنماذج الوثائقية المتوفرة؛ من أفلام، وصور تاريخية، أو شرائح فيلمية، وغيرها.

٤- البعد الحضاري والثقافي: دراسة تحليلية مقارنة لأهم العناصر الزخرفية الخشبية بالمنطقة مع مثيلاتها في إقليم الحجاز ونحوه؛ من أجل التعرف على السمات الزخرفية للأعمال الخشبية بالمنطقة، مع دراسة التأثيرات الفنية الوافدة للمنطقة.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في انحسار المباني التقليدية في منطقة المدينة المنورة وتلاشيها، أمام مشروع توسعة الحرم النبوي الشريف، وتطوير المنطقة المركزية المحيطة بالحرم من جهاته الأربع، والتوسع العمراني السريع لاستيعاب النمو السكاني المتسارع الناتج عن هجرة الجموع الغفيرة، ومن الزوار في المواسم المتعددة، فتوارى النسيج المعماري التقليدي وفُقدتْ بذلك مبانٍ وبيوت كثيرة، كانت تُعدُّ بحق سجلاً تاريخياً، ومعلماً حضارياً وثائقياً، تجسد حقبة وحضارة كانت موجودة في فترة معينة، وتسطر للتاريخ شواهد تراثية عريقة، فحين يسدل الستار على البقية المتبقية لهذه البيوت التقليدية، وتوارى الشريحة البشرية

التي عاصرت هذه الحقبة بخبراتها وتجاربها، يتوقف جانب كبير من هذه المعايضة للتراث المعماري الأصيل.

مشكلة البحث:

تتركز الدراسة حول الأعمال الخشبية الثابتة، في العمارة التقليدية في منطقة المدينة المنورة وهي من أهم العناصر للبيت الحجازي التقليدي، من حيث النمط المعماري، وأسلوب الزخرفة، التي تظهر واضحة في الواجهات، وتظهر مفهوم طرق الزخرفة التقليدية؛ الخارجية والداخلية، ومن غير شك فإن اختيار هذه الأنماط الزخرفية لتكون مجال الدراسة والتحليل يكمن خلفه الأسباب الآتية:

- ١- صياغة الأشغال الخشبية في المباني التقليدية السكنية تكوّن الغلاف الخشبي المحيط بكيان البيت التقليدي، بمنطقة المدينة المنورة، وقد نُسجت بأنامل فنية بارعة، في تناسق ونظام عرفت به، وتُعدّ معالم معمارية وفنية جمالية متميزة واضحة للعيان، لا يمكن تجاهلها.
- ٢- توفر بعض النماذج الحية من الأعمال الخشبية، في بعض المدن بمنطقة المدينة المنورة، رغم انحسار النسيج العمراني التقليدي، وصلاحياتها للدراسة والتحليل.
- ٣- دراسة الأعمال الخشبية الثابتة السليمة كالخزائن الحائطية، وزخارف السقوف والجدران والشبابيك والرواشين، لها أهمية كبيرة في إبراز المستوى الفني الزخرفي، داخل المسكن؛ لثراء عناصرها الزخرفية الخشبية المتنوعة.

وهذه الأسباب مجتمعة أظهرت هذه الدراسة التي تتناول بشيء من التفصيل أهم العناصر الزخرفية، للبيوت التقليدية، والمتمثلة في الشبايك والرواشين والأبواب والسقف المزخرفة والخزائن الحائطية واللوحات التأسيسية، والأشرطة الكتابية والمناور الغنية بالزخارف، والتقنيات الحرفية المختلفة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وأوائل القرن الرابع عشر الهجري، وذلك لتوفر بعض النماذج الأصيلة لهذه البيوت في هذه الفترة قبل أن تختلط الطرز.

كما سيتم التعرض من خلال الدراسة للخشب خاماً أساسية في التنفيذ، وما يتعلق بالتقنيات والطرق، التي ساعدت على وجود الأشغال الخشبية المتنوعة، ما بين محفورة ومفرغة أو مجمعة (حشوات) سواء كان ذلك في الشبايك أو الرواشين أو الأبواب أو الخزائن الحائطية أو السقف أو المناور، هذا بجانب الدراسة التحليلية للزخارف الشائعة والمنفذة عليها.

أهداف البحث:

- ١- اعتماد التحليل الفني للأعمال الخشبية الثابتة، في العمارة التقليدية بمنطقة المدينة المنورة، لتوثيقها وتأصيلها بمعرفة مصادرها الأصلية ما أمكن، مع معرفة المناطق الأخرى التي ظهرت وشاعت فيها.
- ٢- الإلمام بالانصهار الثقافي في مجال الصناعة والحرفة التقليدية المنتجة للأعمال الخشبية الثابتة، في المباني التقليدية بالمنطقة، مع زخرفتها للخروج بهيئة النمط المحلي التقليدي.

- ٣- معرفة طرق تنفيذ العناصر الزخرفية، في الأعمال الخشبية التقليدية.
- ٤- دراسة الإطار العام للأعمال الخشبية الثابتة، مع علاقتها بالتصميم المعماري للمباني التقليدية.
- ٥- معرفة العوامل التي أسهمت في إعداد حرفي للوحدات الزخرفية الخشبية، المستخدمة في العمارة التقليدية بالمنطقة.
- ٦- معرفة أثر العوامل البيئية الطبيعية، والاقتصادية والاجتماعية والدينية، على الأعمال الخشبية.
- ٧- إجراء المقارنة بين الأعمال الخشبية الثابتة، بمنطقة المدينة المنورة مع مثيلاتها الأخرى داخل المملكة وخارجها.

منهج البحث:

إن تحديد الإطار التاريخي والجغرافي، وما يتطلبه الجانب النظري في هذه الرسالة، يوجب قراءة ماكتب في المصادر التاريخية، وكتب الرحلات والمراجع الحديثة، عن منطقة المدينة المنورة، مما له صلة بموضوع الدراسة.

كما يتطلب حصر الوحدات الزخرفية الخشبية الفنية، من مصادرها ومراجعتها المختلفة، سواء أكانت في المكتبات أم المتاحف المحلية والمركزية، داخل المملكة وخارجها، وتوفير كل ما يحتاجه البحث، وبعد استكمال جمع المادة العلمية، يجرى التعامل معها وفقاً لمنهجين هما:

أ- المنهج الوصفي والمنهج التحليلي:

استخدم المنهج الوصفي في وصف الوحدات الزخرفية الخشبية، وصفاً دقيقاً شاملاً، من حيث نوع الوحدة الزخرفية الخشبية، وتقنية تنفيذها، إضافة إلى مقاساتها؛ بغرض الاستفادة منها لوصف الوحدات الزخرفية الخشبية الفنية، التي سبق نشرها.

كما سيعتمد استخدام المنهج التحليلي، في تحليل المادة العلمية، التي جمعها، ودراسة الوحدات الزخرفية الخشبية، وصورها وأنواعها، وطرق تنفيذها لتأصيلها، ومعرفة سبب شيوعها في العمارة التقليدية، في منطقة المدينة المنورة.

ب- المنهج المقارن:

عقد الباحث مقارنات مختلفة بين الوحدات الزخرفية الخشبية، وتحديد أوجه الشبه بين أنماطها، وتقنية التنفيذ في العمارة التقليدية، في منطقة المدينة المنورة، مقارنة مع مثيلاتها في العمارة التقليدية، بإقليم الحجاز ومع مثيلاتها في خارج منطقة المدينة المنورة، بغرض الوقوف على التواصل الثقافي والحضاري، بين تلك الأنماط الزخرفية.

إجراءات البحث:

١ - عمل زيارات ميدانية متكررة لعدد من الأمثلة القائمة من العمارة التقليدية الباقية في منطقة المدينة المنورة خاصة، وفي إقليم الحجاز عامة.

- ٢- عمل خرائط جغرافية عامة وتفصيلية، لموقع الدراسة في منطقة المدينة المنورة.
- ٣- عمل رسومات توضيحية عامة وتفصيلية، للوحدات الزخرفية الخشبية الفنية.
- ٤- عمل معجم بالمصطلحات الفنية لأهل الصنعة، المنشورة الخاصة بالأعمال الخشبية، في العمارة التقليدية بمنطقة المدينة المنورة.
- ٥- عمل معجم بالحرفيين وطوائفهم المهنية.
- ٦- حصر الوحدات الزخرفية الخشبية الفنية المنشورة.
- ٧- تصوير الوحدات الزخرفية الخشبية، كل وحدة على حدة تصويراً فوتوغرافياً.

تساؤلات البحث:

- ١- ما أصول الزخارف الخشبية في العمارة التقليدية، بمنطقة المدينة المنورة، وما المناطق التي ظهرت وشاعت فيها؟
- ٢- ما العوامل التي أثرت في ابتكار الزخارف الخشبية المنتجة، للأعمال الخشبية في المباني التقليدية، للخروج بشكل نمطي تقليدي؟
- ٣- ما الطرق المستخدمة في تنفيذ العناصر الزخرفية الخشبية؟
- ٤- ما الإطار العام للأعمال الخشبية، وعلاقتها بالتصميم المعماري للمباني التقليدية بالمنطقة؟
- ٥- ما العوامل التي أسهمت في إعداد صانعي وحرفيي الأعمال الخشبية، المستخدمة في العمارة التقليدية؟

عينة البحث:

سوف يتم بمشيئة الله حصر الأعمال الخشبية، التي يمكن دراستها في مرحلة أولى ومن ثم سوف يتم إجراء فرز لهذه الأعمال، لانتقاء مجموعة عينة البحث، وفق الأسس والاعتبارات التالية:

- ١- الشكل العام للأعمال الخشبية.
- ٢- الطرق الصناعية للأعمال الخشبية.
- ٣- حجم الأعمال الخشبية.
- ٤- الأسلوب الفني في الزخرفة.
- ٥- صلاحية العمل الخشبي للدراسة.

الدراسات السابقة:

- يمكن تقسيم الدراسات السابقة إلى ثلاثة أقسام هي:
- الأول: يتعلق بالعناصر المعمارية الفنية، في العمارة التقليدية، في البلدان المجاورة
 - الثاني: يتعلق بالعناصر المعمارية الفنية في العمارة التقليدية في المملكة بشكل عام.
 - الثالث يتعلق بالعناصر المعمارية الفنية في العمارة التقليدية في الحجاز بشكل خاص.

أولاً: الدراسات ذات العلاقة بالعمارة التقليدية، في البلدان المجاورة للمملكة، وفيما يلي عرض أهمها:

١- قام (رودان، ١٩٧٠م. Rodan) بنشر كتاب بعنوان: (The Twentieth Century of Suaken) تطرقت الدراسة إلى العناصر المعمارية، ومنها الروشان والشباك في البيوت التقليدية، لمدينة سواكن السودانية، وتعد البيوت التقليدية في سواكن من أقرب البيوت التقليدية المشابهة لمثيلاتها في الحجاز، وقد ركزت هذه الدراسة على الوحدات الزخرفية، المنفذة على الروشان والشباك، وتعرضت إلى الجوانب التحليلية للزخارف مع التعرض اليسير للتأثيرات الداخلية، على الوحدات الزخرفية، المنفذة على الرواشين والشبابيك بصورة دقيقة، وبتفصيلات في الرسوم التوضيحية التي تدعم التحليل الزخرفي.

٢- في عام (١٩٨٠م) أعد الهجان دراسة بعنوان: (دور الأعمال الفنية في بيوت المماليك برشيد، في الذوق الفني الشعبي) حيث عرض الباحث لبيوت رشيد التقليدية من خلال المشغولات الخشبية فقط، وتعرض لمسميات الوحدات الزخرفية المنفذة، والبحث عن تاريخها من خلال المحاولة في تأصيل الوحدات، أو ذكر أماكن شيوعها في العالم العربي والإسلامي، وتطرق الباحث لحرفة النجارة والأشغال الخشبية المختلفة، والتقنيات المنفذة من خرط، وحفر، وحز، ضمن المشغولات الخشبية خاصة. ولعل تلك الدراسة ترتبط بموضوع دراستنا من حيث معرفة الأثر الجمالي

والوظيفي، للعناصر الزخرفية في الذوق الفني التراثي الشعبي، من خلال الزخرفة المنفذة بخامة الخشب.

٣- وفي عام (١٩٩٦م) قام العروسي بنشر كتاب: (فن الزخرفة الخشبية في صنعاء - العمارة السكنية) حيث ركزت الدراسة على المواد، والأدوات وطرق الصناعة، ودراسة الأساليب الزخرفية ودراسة أصنافها وأصولها على الأبواب والنوافذ والخزائن الحائطية، ودراسة الأنواع والتكوينات الزخرفية الخشبية، في مدينة صنعاء القديمة فقط، ويمكن الإفادة من هذه الدراسة من حيث أسلوب التحليل والتأصيل، والمقارنة لأنواع الزخرفة الخشبية، وطرق تنفيذها، وذلك من خلال الاستعمالات المختلفة لها في العمارة التقليدية، في منطقة المدينة المنورة.

٤- وفي عام (٢٠٠٣م) أعدت: (شادية دسوقي) دراسة بعنوان: (الأخشاب في العمائر الدينية بالقاهرة العثمانية) وركزت الدراسة على الصورة العامة للأشغال الخشبية، ذات الصفة المعمارية ومنها: الأبواب، والشبابيك، والدكك، والخزائن الحائطية، ودراسة الظروف الاجتماعية المؤثرة في أشغال الخشب، والدور الذي قامت به الطوائف المهنية ومكوناتها، ومراسم الالتحاق بها، وركزت الباحثة على دراسة الأساليب، والطرق الصناعية التي نفذت بها الأصناف الزخرفية، كما تطرقت للأنواع الزخرفية، التي وردت على التحف الخشبية، وأنواعها الهندسية، والنباتية، وتناولت الزخرفة التي شاع استخدامها في تلك الفترة، وتطرقت

الباحثة للزخرفة الكتابية بمواضيعها المتعددة، مع تأصيل أنواع الزخارف، وعرض الأمثلة لها. ويمكن الإفادة من الدراسة من حيث محاولة معرفة أثر العامل الاجتماعي المؤثر في الأنواع الزخرفية، ودور الطوائف والمهن، وأساليب الصناعة والحرفة التي نفذت بها الزخرفة الخشبية، وذلك من خلال الزخرفة المنفذة، في العمارة التقليدية، بمنطقة المدينة المنورة.

ثانياً: الدراسات التي عنت بالعمارة التقليدية، في المملكة بصورة عامة، وفيما يلي عرض أهمها:

١ - في عام (١٤١٣ هـ) أعدَّ العنبر دراسة بعنوان: (الزخارف في المباني الطينية بمنطقة نجد)، تطرقت الدراسة إلى العوامل المناخية والبيئية وأثرها في العناصر المعمارية في بيت الطين في نجد، وتطرقت كذلك إلى الخامة والحرفيين والمصطلحات المعمارية والتراثية، وأنواع الزخارف الهندسية واستخدامها في تزيين الجدران الداخلية والخارجية، والزخارف المنقوشة على الأبواب والنوافذ بأنواعها الهندسية والنباتية وتزيين مكان إعداد وتجهيز القهوة والشاي وتجهيزهما ويسمى: (الوجار) بزخارف جصية، مركبة بأصناف هندسية ونباتية، وتأصيل هذه الزخارف وشيوعها في المنطقة. ويمكن الإفادة من هذه الدراسة من حيث طرق تنفيذ الزخرفة الجصية وأشكالها المتعددة، وتقنياتها وأثر العوامل البيئية والاجتماعية والمناخية والاقتصادية في زخرفة المباني الطينية

النجدية، ولكن من خلال الأعمال الخشبية المنفذة في العمارة التقليدية بمنطقة المدينة المنورة.

٢- في عام (١٤١٤ هـ) قام محمد عبد الله آل زلفة بنشر كتابه بعنوان: (لمحات عن العمارة التقليدية في منطقة عسير)، تطرقت الدراسة للعمارة التقليدية في منطقة عسير وتنوع أنماطها ومبانيها، وذلك لتنوع التضاريس الجغرافية، واختلاف المناخ فيها، وركزت الدراسة على عناصر البيت العسيري التقليدي، وخصائصه المعمارية وأعماله الزخرفية الخشبية على الأبواب والنوافذ، والزخارف الملونة على الحوائط والسقوف بأشكال هندسية ونباتية جميلة. ويمكن الإفادة من هذه الدراسة من حيث تنوع أنماط المباني التقليدية، في منطقة عسير، وتأثير العوامل الجغرافية والبيئية والاجتماعية وطرق تنفيذ الزخارف، وأشكالها وشيوعها في المنطقة، وذلك من خلال الزخرفة الخشبية، المنفذة في العمارة التقليدية بمنطقة المدينة المنورة.

٣- في عام (١٩٩٨ م) قام جوهر بترجمة كتاب ماركو البيني الذي نشره بعنوان: (العمارة التقليدية في المملكة العربية السعودية - المنطقة الوسطى)، وتطرقت الدراسة إلى الزخارف الداخلية، وتقنيات تنفيذها وأشكالها الهندسية والنباتية المنقوشة داخل الجص، أو مصنعة بقالب والزخرفة الخشبية على الأبواب، وعوارض السقوف والنوافذ بأشكال زخرفية متنوعة، وباستخدام الصبغة في التنفيذ بالألوان الأحمر أو الأصفر أو الأزرق

المختلفة الدرجات، أو باستخدام الحرق لأشكال الزخرفة داخل الخشب، وتطرق الدراسة للمميزات الأساسية للمسكن التقليدي النجدي؛ من حيث كتلته المتضامة من المباني، والنظام الوظيفي المزدوج، حيث تم تصميم فراغات المسكن الداخلية بتقسيمه إلى قسمين أو ثلاثة؛ حيث يوجد قسم للرجال الضيوف، وقسم للنساء أهل البيت، وقسم للخدمات. ويمكن الاستفادة من الدراسة من حيث أشكال الزخارف وتقنية تنفيذها، وأثر العوامل المناخية والاجتماعية على توزيع الفراغات الداخلية في المسكن، ولكن من خلال الأعمال الخشبية وأنواعها المختلفة في المباني التقليدية في منطقة المدينة المنورة.

٤- وفي عام (١٤١٩هـ) قام النويصر بنشر كتابه بعنوان: (خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية - منطقة نجد)، غطت الدراسة العوامل المناخية، والاجتماعية، والبيئية والظروف الأمنية والاقتصادية التي أثرت في البيئة العمرانية النجدية التقليدية، ودراسة الخصائص العامة للمسكن في نجد، من حيث إنها تحتوي على أفنية داخلية، وقلعة الفتحات الخارجية، ودراسة الزخارف، ورموزها، وأشكالها التجريدية وأنواعها الهندسية والطبيعية، ودراسة مواد البناء وأسماء الأدوات ومصطلحاتها والعناصر المعمارية الفنية، وأسماء الحرفيين. وتفيد هذه الدراسة في التعرف على العوامل الاجتماعية والمناخية المؤثرة في البيئة المعمارية في منطقة نجد، وذلك من

خلال عناصر الزخرفة الخشبية الفنية في العمارة التقليدية في منطقة المدينة المنورة.

ثالثاً: الدراسات التي عنت بالعمارة التقليدية، في إقليم الحجاز بشكل خاص، وفيما يأتي عرض أهمها:

١- في عام (١٩٨١م) قام مصطفى بنشر كتاب له بعنوان: (المدينة المنورة وتطورها العمراني وتراثها المعماري)، أورد فيه وصفاً جميلاً وشاملاً لمنطقة الأغوات، التي تحتضن المباني القديمة، ذات الحوائط الحاملة، المقامة من الحجر البازلتي، في الطوابق السفلى ومن الطوب في الطوابق العليا، مع عمل السقوف من الخشب، كما عملت الواجهات برواشين محمولة على (كوابيل) ذات قطاع متدرج، وتغطي هذه الرواشين كامل ارتفاع الطابق، والعناصر الزخرفية تزين بها الأبواب والشبابيك والرواشين. وتكمن الفائدة من الدراسة في كون المدينة المنورة ضمن مدن منطقة المدينة المنورة المستهدفة في هذه الدراسة، وستعالج كثيراً من الجوانب الزخرفية التي لم يتطرق إليها مصطفى.

٢- في عام (١٤٠٣هـ) أعد فادن دراسة بعنوان: (بيوت مكة التقليدية - أثر مصادر الثقافة الاجتماعية على المساكن الإسلامية العربية) ويهدف البحث إلى دراسة البيوت التقليدية وتأثير الثقافة الاجتماعية، والعوامل البيئية في النسق العمراني بمكة المكرمة نموذجاً للمدينة العربية الإسلامية، وتكمن الأهمية في معالجة بيوت مكة التقليدية

في أواخر القرن ١٩م، وأوائل القرن ٢٠م، والتطرق للرواشين والشبابيك من ضمن دراسة الواجهات ومقارنتها بالتوزيعات الداخلية، كما توضح الدراسة الأثر الفعلي للعلاقات الاجتماعية في تكوّن النسيج والتكتل العمراني الإسلامي. ويمكن الاستفادة من هذه الدراسة من حيث تأثير الثقافة الاجتماعية، والعوامل البيئية في النسق العمراني، ولكن من خلال العناصر الزخرفية الفنية، في منطقة المدينة المنورة بشكل عام.

٣- في عام (١٤٠٤هـ) قام طه بنشر كتابه بعنوان: (طيبة وفنها الرفيع) أكد في هذه الدراسة على الناحية الجمالية وعناصرها بالمدينة المنورة، بشكل خاص، من حيث تكسية واجهات المباني التقليدية بالشبابيك، والرواشين التي تعدّ في حد ذاتها علماً وفناً وإبداعاً. وقسم المؤلف في هذا الكتاب الروشان والشباك إلى وحدات صغيرة مؤلفة بعناصر هندسية مع استعمال عقود مزخرفة، وزينت المسطحات الخشبية بأنواع هندسية ونباتية، كما تطرقت الدراسة للبيئة، والمناخ المحيط بالمبنى التقليدي في المدينة المنورة، ومعالجته جيداً، ودراسة أثر العوامل الدينية والاجتماعية في التصميم المعماري للبيت المدني التقليدي، وهذا ما أعطى المبنى جمال المظهر مع اتقان المضمون. وتكمن الاستفادة من هذه الدراسة من حيث الأثر العقائدي والبيئي والمناخي والاجتماعي ليصبح الفن المعماري التقليدي شاملاً وكاملاً، وليصبح الفن الرفيع والذوق السليم متأصلاً في هذه المنطقة الحجازية.

٤- في عام (١٤٠٦هـ) قام خان بنشر كتاب بعنوان: (منازل جدة القديمة دراسة في العمارة الوطنية لمدينة جدة القديمة)، يتركز موضوع الدراسة حول جدة القديمة؛ من حيث طريقة إنشائها وخاماتها المستخدمة، وفراغاتها الداخلية ووظائفها المتعددة، وعناصرها المعمارية، وعناصرها الزخرفية ثم العوامل التي تقف خلفها والمتمثلة في ظروف التقسيم الاجتماعي للأسرة الواحدة باختلاف أجيالها بجانب عُنْصُرِي الخصوصية والتقاليد الاجتماعية، والمعتقد الديني، وتتقارب هذه العوامل مع ظروف الدراسة الحالية بحكم قرب العادات والتقاليد في المدن الحجازية، وهذا جانب يفيد الدراسة الحالية، كما تعرض المؤلف للعناصر المعمارية؛ ومنها النوافذ والفتحات، باختلاف أنواعها، للبيوت التقليدية القديمة بجدة، وتعرض للأصل التاريخي للروشان، وفترة وأماكن انتشاره وأماكنها مع تصنيف الرواشين إلى ستة أنماط، ودعمه بالصور التوضيحية. أما الزخارف والجوانب الحرفية، فتم التعرض لها بنذر يسير، يمس العالم الإسلامي، دون دراسة الجوانب المحلية، لبيوت جدة التقليدية، كما انتهت الدراسة بمقارنة بين بيوت جدة وبيوت صنعاء وحضرموت، وتركزت حول النوافذ البارزة من الجدار، والمثبتة (بكوابيل)، والتي تتشابه مع وظيفة الروشان. مع تدعيم الدراسة بعرض ثلاثة بيوت تقليدية من جدة، والتنويه بالتشابه بين بيوت جدة وبيوت سواكن بالسودان. وتقترب هذه الدراسة من أهداف الدراسة

الحالية، من حيث دراسة العوامل الاجتماعية والمناخية، المؤثرة في البيئة المعمارية في جدة، وذلك من خلال العناصر الزخرفية الخشبية الفنية في العمارة التقليدية في منطقة المدينة المنورة.

٥- في عام (١٤٠٦هـ) قام الحارثي بنشر كتابه بعنوان: (أعمال الخشب المعمارية في الحجاز في العصر العثماني - دراسة فنية حضارية) وتكمن أهمية هذه الدراسة في معالجتها لأعمال خشبية معمارية، في منطقة الحجاز، وقد تضمنت هذه الأعمال بعض الرواشين والشبابيك، في مكة المكرمة، في دراسة وصفية تعرض خلالها الباحث لأصل اللفظ مصطلحاً، مع توظيف الشكل العام للنماذج، سواء كانت داخلية أو خارجية، وسرد لأنواع قواعد الرواشين وتيجانها، أما الشبابيك فقد تم تصنيف أنواع المصاريح والقلابات، كما وضع الباحث اعتبارات لانتقاء النماذج المختارة وتصنيفها من القطع الخشبية، وهذه الاعتبارات تفيد الدراسة الحالية لمراعاتها اختيار نماذج الأعمال الزخرفية المنفذة بالخامات المختلفة، كما تطرقت الدراسة للصناعة والزخرفة في منطقة الحجاز، تحت بند الدراسة التحليلية، حيث تضمنت الحرفة، وتنظيمات الصناع، وأسلوب التدريب، ثم تطرقت إلى طرق التنفيذ والتقنية، وينتهي الجزء بتوضيح العلاقة بين التصميم الفني لأعمال الخشب المعمارية، والتصميم المعماري للمباني. أما الزخرفة فقد ذكر الوحدات الزخرفية المنفذة على هذه القطع الخشبية مع إدخال

مسميات جديدة لوحدات تم تحليلها وتوصيفها، ثم إن الدراسة تعرضت لتأصيل بعض الوحدات وإيجاد المشابه لها في الأعمال الإسلامية خارج منطقة الحجاز. ويمكن الاستفادة من هذه الدراسة من حيث تأصيل الوحدات الزخرفية، ومعرفة الأكثر شيوعاً، وسيتم ذلك بالمقارنة والتحليل في منطقة المدينة المنورة. ولقد دُعِمت الدراسة ببعض الصور لقطع خشبية، من بيوت مكة المكرمة، يمكن للدراسة الحالية الاستفادة منها.

٦- وفي عام (١٤١١هـ) أعد حريري دراسة بعنوان: (تصميم الروشان وأهميته للمسكن) وركزت الدراسة على الروشان فقط، مع اختلاف الهدف والمنظور للدراسة الحالية، فذكرت أجزاء الروشان بمصطلحاته المحلية وصفته وشكله التقليدي، ووظيفته، ثم سلبياته وإيجابياته، وذلك بهدف الوصول لحلول عصرية معمارية يمكن تنفيذها، كما تم في الدراسة التعرض لصورة الروشان داخلياً بوصفه تركيباً معمارياً فقط.

٧- في عام (١٤١٨هـ) قامت وكالة الآثار والمتاحف، بنشر كتاب بعنوان: (منزل حسن سالم بابطين بينع البحر - توثيق وتسجيل)، تطرقت الدراسة إلى صناعة وحرفة النجارة والنجارين، والأعمال الخشبية في الأبواب والشبابيك، وقواعد الرواشين وواجهاتها وتزيينها بوحدات زخرفية هندسية ونباتية، بأسلوب الحفر الغائر والبارز، لا سيما والرواشين تُعدُّ رمزاً لمدن الساحل الغربي، وتضمن

البحث دراسة الظروف البيئية، مع تأصيل الروشان وأنواعه، وطرق تصميمه، ودراسة العمارة السكنية التقليدية، وعناصرها، مع رسوم توضيحية وتفصيلية لمنزل بابطين ببنع البحر. ويمكن الاستفادة من هذه الدراسة من حيث أسلوب تنفيذ الزخارف الخشبية، وشيوعها في العمارة التقليدية في منطقة المدينة المنورة.

٨- في عام: (١٤٢١هـ) قامت فريدة المرّحّم بنشر كتابها بعنوان: (الروشان والشباك وأثرهما في التصميم الداخلي، في بيوت مكة المكرمة التقليدية، أوائل القرن ١٤هـ). وبالنسبة للعناصر المعمارية الجمالية فقد ركزت الدراسة على الروشان والشباك عنصراً معمارياً ومحاور أساسية للبيت المكي التقليدي، تظهر في الواجهات الخارجية، وتبرز مفهوم الفراغات الداخلية، وأثر الثوابت العقائدية، والظروف البيئية والاجتماعية في إنشاء البيوت التقليدية المتلاصقة ذات الأشكال التراثية، المتجانسة المترابطة، في أزقة مكة وحواريها، أما بالنسبة للجانب التحليلي للزخارف الشائعة في تلك الفترة، ووحداتها المنفذة على الروشان والشباك، فقد تعرضت الباحثة لمسميات الوحدات الزخرفية، والبحث في أصولها، وذكر أماكن شيوعها في العالم العربي الإسلامي. كما تعرضت للناحية الحرفية، ومعالجة أساليب التنفيذ وأصول الصناعة والحرفة، كما تطرقت الدراسة للحرفة وأصولها، وأساليبها المختلفة، وتعرضت للحرفة بصورة خاصة في البيت المكي التقليدي، ثم شرحت تقنيات التنفيذ

لبعض الزخارف الخشبية. وتفيد هذه الدراسة موضوع البحث في تأصيل الوحدات الزخرفية، ومصطلحات العناصر الفنية، وأثر العوامل البيئية والمناخية والاجتماعية في ابتكار العناصر الفنية. الزخرفة الخشبية واستخدامها في المباني التقليدية في منطقة المدينة المنورة.

وبما أن الدراسات والمؤلفات المرتبطة بموضوع العمارة في منطقة المدينة المنورة، تناولت فيما تناوله التخطيط الحضري، ومجالات أخرى مختلفة، بحيث تنوعت ما بين عمارة وتاريخ وفنون وحضارة، ولم يجد الباحث أي دراسة متخصصة في مجال الزخرفة الخشبية، في العمارة التقليدية، في منطقة المدينة المنورة، بصفة خاصة إلا النذر القليل، فإن هذا البحث سيضيف إلى الدراسات السابقة الكثير بإذن الله، على صعيد التعريف بفن الأعمال الخشبية من حيث تطورها، ودراسة الزخارف دراسة تأصيلية، وتحليلها ومقارنتها مع مثيلاتها في المدن بمنطقة المدينة المنورة ومثيلاتها، في المناطق الأخرى في داخل المملكة وخارجها، لاكتشاف شيوع الوحدات الزخرفية فيها، ثم إبراز ما فيها من ترابط مع دراسة نشأتها والجذور التاريخية لها.

وهذا الموضوع سوف يزيد ويضيف بمشيئة الله إلى الدراسات السابقة التركيز على فن الأشغال والزخرفة الخشبية، ومراحل تطورها، في العمارة التقليدية بمنطقة المدينة المنورة.

المدينة المنورة في كتابات الرحالة المسلمين:

حظيت المدينة المنورة بنصيب وافر، من اهتمام الرحالة المسلمين، الذين كتبوا عنها وعن مناطقها، فقد جاؤوا للحج والعمرة وسجلوا مشاهداتهم عن طرق الحج، والمحطات والمنازل الواقعة عليها، وسجلوا أيضاً جوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية، والأوضاع السياسية والاقتصادية، بالإضافة إلى وصفهم للمدينة المنورة، ومعالمها العمرانية وآثارها التاريخية، وفيما يلي عرض موجز لأبرز هؤلاء الرحالة وهم:

- (١) الرحالة محمد بن أحمد بن جبير (٦١٤هـ/ ١٢١٧م). صاحب كتاب: (رحلة ابن جبير) وقد تعددت رحلات ابن جبير إلى المشرق الإسلامي، وأدى فيها الحج، وزيارة المدينة المنورة ووضع ابن جبير وصفاً جميلاً للمسجد النبوي الشريف، وتفصيله المعمارية والزخرفية، بالإضافة إلى المشاهد والأماكن التاريخية الماثورة في المدينة.
- (٢) الرحالة محمد بن عبدالله الطنجي، المشهور بـ (ابن بطوطة) (٧٧٩هـ/ ١٣٧٨م). وقد ألف كتابه: (رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) وأفرده فيه فصلاً مطولاً عن رحلته للحجاز، قادمًا من دمشق إلى المدينة المنورة، ومنها إلى مكة المكرمة، ووصف في طريقه الحِجْر والعُلا، وسجل ابن بطوطة بإيجاز تاريخ عمارة المسجد النبوي الشريف، وأحياء المدينة وأحواشها وضواحيها، وبعض مشاهداته وانطباعاته عن حياة الناس.

(٣) الرحالة عبدالقدوس الأنصاري الجزيري (٩٧٦هـ/١٥٦٩م). الذي كتب كتاباً ضخماً عن رحلته إلى الحجاز بعنوان: (الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة)، وخصص الجزيري في كتابه فصلاً موجزاً عن المدينة المنورة، وأسمائها ومشاهدها ومعاهدها، وتناول بصفة شمولية ذكر من حج من الأعيان: من خلفاء وصحابة وملوك ووزراء والأمراء والعلماء، وغيرهم. وما قدموه من أعمال خيرية وإصلاحات في الحرمين الشريفين.

(٤) الرحالة إبراهيم رفعت باشا (١٢٧٣ - ١٣٥٣هـ/١٨٥٧ - ١٩٣٥م). من أهم الذين وثقوا رحلة الحج إلى المدينتين المقدستين، في الحقبة الأولى من القرن العشرين للميلاد، (أوائل القرن ١٤هـ) حيث عمل قائداً لحرس المحمل، سنة (١٣١٨هـ/١٩٠١م) وأميراً للحج في الأعوام (١٣٢٠هـ/١٩٠٣م، ١٣٢١هـ/١٩٠٤م، ١٣٢٥هـ/١٩٠٨م). ونظراً لولعه بالتاريخ، فقد ألف كتاباً مهماً بعنوان: (مرآة الحرمين) أو الرحلات الحجازية، والحج ومشاعره الدينية، ظهرت طبعته الأولى في مجلدين عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م. وتميز ابتداءً من الأعمال التمهيدية، قبل سفر المحمل وركب المحمل، والاحتفال بكسوة الكعبة، والسفر بالقطار من القاهرة إلى السويس، ومنها إلى رابع حيث الحجاج (أي مكان تجمعهم) ثم إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة، واصفاً الشعائر الدينية وأحكامها، ولمحات تاريخية وجغرافية عن الجزيرة العربية، وتناول بالتفصيل مكة المكرمة؛ من حيث موقعها الجغرافي، وجبالها وشوارعها

وحاراتها وأقسامها، والمعالم التاريخية فيها؛ من مساجد وأماكن مأثورة، مع وصف للمسجد الحرام والكعبة الشريفة.

وقد أعطى إبراهيم رفعت معلومات وفيرة عن المدينة المنورة، والمسجد النبوي الشريف، والمساجد التاريخية، والمكتبات والتكايا وأراضي المدينة، وأوديتها وآبارها، وقصورها التاريخية وعيونها وزروعها، والأحوال العامة للناس، والتجارة، والعادات، وغيرها من الموضوعات، التي تستهوي الباحث والدارس معرفتها.

(٥) الرحالة المصري لبيب البتوني (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م). صاحب كتاب: (الرحلة الحجازية)، وقد أَلَّفَ هذا الكتاب حينما حج بمعية (الخدوي) عباس باشا حلمي سنة (١٣٢٨هـ/١٩٠٩م).

وقد خص البتوني المدينة المنورة بمعلومات وافرة؛ حيث ذكر الطرق المؤدية إليها، وكانت سكة حديد المدينة في اوج استخدامها، ووصف البتوني الحرم المدني وعناصره المعمارية، ووصف كذلك الموقع الجغرافي للمدينة وحاراتها ومبانيها، ويقدر عدد المساكن في المدينة في تلك الفترة بحوالي إثني عشر ألف بيتاً، ويشير إلى التشابه الكبير بين الأبنية في المدينة المنورة وما رآه من أبنية في جدة ومكة المكرمة، إلا أن أبنية المدينة أصغر، وشوارعها ضيقة، وخصوصاً ما كان منها حول الحرم النبوي الشريف، كما يشير إلى أن أحسن شارع في المدينة المنورة هو ذلك الشارع الذي يقع غرب الحرم يسمونه: بحارة الساحة، وهي أطول حاراتها وفيها أحسن مبانيها.

كما يشير إلى دقة البناء وروعة الزخرفة، في منزل كائن بحارة الساحة وهو منزل السيد هاشم، فيقول: (وما ينبغي ذكره أنني رأيت بهذه الحارة «الساحة» منزلاً للسيد هاشم..، بما استوقفني أمامه باهتاً بجمال صنعته، ودقته، وهي من صناعة جاوه). لعله يقصد بصناعته من الخشب الجاوي، أو الصانع من جاوه.

ثم يتحدث عن حارات المدينة وأزقتها؛ فيشير إلى أن أغلب حارات المدينة يسمونها لضيقها: أزقة، ويذكر بعضاً من هذه الأزقة، مثل: زقاق البقر، وزقاق الخياطين، وزقاق الحبس، وزقاق عانقني، وزقاق الأغوات، وزقاق ياهو، وزقاق الحجامين، وزقاق القماشين، وزقاق حيدر، وزقاق مالك بن أنس.

كما يضع تحديداً دقيقاً لمخطط المدينة المنورة، ومسكنها وشوارعها وأزقتها وحاراتها، كما يتكلم عن أبواب المدينة، وأسوارها وأسواقها والبقيع، وما فيه من قباب، ثم تكلم بإسهاب عن الحمامات والمكتبات والمدارس والزوايا والاسبلة، إلى غير ذلك من النواحي المختلفة لهذه المدينة الطاهرة.

وبهذا تكون رحلتنا إبراهيم رفعت والبتنوني مرحلة انتقالية للتعريف بآثار المدينة المنورة، ومعالمها الحضارية.

المدينة المنورة في كتابات الرحالة الغربيين:

حظيت منطقة المدينة المنورة باهتمام الرحالة الغربيين، وقد تمكن بعض الرحالة من دخول المدينة المنورة، وسجلوا معلومات ذات فائدة

كبيرة عن النواحي العمرانية، والتاريخية. وفيما يلي عرض موجز لأبرز هؤلاء الرحالة وهم:

(١) الرحالة (جون لويس بوركهات) (١٧٨٤ - ١٨١٧م). وقد ألف كتاباً ضخماً بعنوان (Travels in Arabia) وترجم إلى اللغة العربية عام (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) بعنوان: (رحلات في شبه الجزيرة العربية)، وهو سويسري الأصل ونجح في الوصول إلى منطقة الحجاز منتحلاً شخصية تاجر مسلم، باسم: إبراهيم بن عبدالله، وصل المدينة المنورة مع قافلة الحج، قادماً من مكة المكرمة (٢٨ يناير ١٨١٥م)، وتمكن من رسم مخطط للمدينة المنورة، ووضع وصفاً دقيقاً لشوارعها وأحيائها وبواباتها، وما فيها من أسواق ومدارس وآبار وعيون وبساتين، ومعالم تاريخية، وقال عن المدينة: (إنها جيدة البناء، فكل أبنيتها من الحجارة ومنازلها، وبشكل عام، من دورين وسقفها مسطحة.. الخ) وذكر شارع المدينة الرئيسي (هو أوسع شوارعها، وهو يؤدي من باب المصري إلى المسجد النبوي الشريف، وفي هذا الشارع تقع معظم المحلات التجارية).

ويصف بوركهات المدينة المنورة من حيث شبهها بالمدن الشامية، وذكر كذلك ضواحي المدينة المنورة، وأحواشها وبعض المساجد التاريخية، ووصف المسجد النبوي بأبعاده ومساحته، موضحاً العناصر الزخرفية داخل المسجد، ونصوص الكتابات فيه، ووصف أيضاً الأماكن المأثورة، ومنها جبل أحد، وقباء.

وقد وضح (بوركهات) معلومات تفصيلية عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعن الاطعمة والألبسة، والعادات، والتقاليد، والصناعات والحرف، والنواحي الصحية.

غادر بوركهات المدينة المنورة في طريقه إلى ينبع واصفًا في رحلته هذه وادي العقيق، والحقول والمزارع، والمحطات الرئيسية، ومنها الصفراء وبدر وينبع التي غادرها بحرًا إلى مصر.

(٢) الرحالة (ريتشارد بيرتون) (١٨٩٠م). وقد كتب كتاباً في مجلدين بعنوان (سرد شخصي لرحلة الحج إلى المدينة ومكة)، وهو من الرحالة الإنجليز، الأوائل الذين زاروا منطقة الحجاز، حيث وصل المدينة المنورة قادمًا من مصر، عن طريق ينبع في (٢٥ يوليو ١٨٥٣م). كتب بيرتون وصفًا موجزًا عن ينبع البحر، وأنها ميناء المدينة المنورة وتخضع لها مدن أخرى بالحجاز، موضحةً تقاليد وعاداتهم في البيع والشراء والتعامل مع المسافرين، وذكر كذلك موقع ينبع الجغرافي، ومبانيها والخدمات المتوفرة فيها؛ من دكاكين ووكالات وعيون وبرك.

كما وصف مباني المدينة المنورة، بأنها تشابه بعض أحياء القاهرة، وقد تجول (بيرتون) في المدينة المنورة زهاء شهر، وشاهد معالمها التاريخية، وبعض آثارها، ورسم صورة للمدينة، ومخططاً للمسجد النبوي الشريف، كذلك وضع خارطة للمدينة المنورة، موضحةً عليها موقع المسجد النبوي، والبساتين المحيطة بها الواقعة خارج السور، بالإضافة إلى المعالم التاريخية من مساجد وقلاع وغيرها.